نقد وتحليل لرواية ليلى بعلبكي

« الآلهة الممسوخة »

بقلم عايدة مطرجي ادريس

حين ذكرت بعض الصحف اللبنانية اني اقوم بدراسة « الالهة الممسوخة » علقت احداها قائلة : « اديبات لبنان يشددن بشعور بعضهن » ... وبعد ان ذكرت لاحد الصحفيين بأني اعتبر «الآلهة الممسوخة » رواية ممسوخة نقلت الصحيفة نفسها على لسان المؤلفة بان المطلوب من الناقدة ان تقدم نقدا موضوعيا وان تكتب قصة خيرا من تلك القصة . ثم عبرت المؤلفة عن اسفها لما آل اليه النقد وما تعانيه كاتبة ـ فتاة من هجوم وتشنيع لمجرد انها فتاة ...

وكنت اود ان انشر دراستي هذه قبل اليوم ، ولكني آثرت ان احتفظ بها لهذا العدد الممتاز . واني ابدأ برفع صوتي متضامنة مع ليلى بعلبكي في الاحتجاج على تقييم العمل الادبي بالنظر الى مؤلفه لا الى موضوعه وعلى اعتبار نقد انثى لانثى شدا للشعر وشتيمة . لقد آن لنا ان نساوي بين المرأة والرجل في التقييم الادبي ، غير اني اود في الوقت نفسه ان الفت نظر صديقتي المؤلفة الى انه ليس مفروضا بالناقد ان يؤلف قصة كالتي ينقدها او خيرا منها ، فان هناك نقادا كبارا للقصة والمسرح ليسوا قصاصين او كتابا مسرحيين او شعراء . والنقد الادبي قد تطور تطورا كبيرا حتى اصبح فنا قائما بذاته وغدا عملية ابداع .

وكل ما ارجوه الان هو ان يكون نقدي « للالهة الممسوخة » موضوعيا على قدر مايمكن للنقد ان يكون موضوعيا .

*

لا شك في ان « الآلهة الممسوخة » قد سجلت تطورا واضحا بالنسبة لرواية ليلى بعلبكي الاولى « انا احيا » . فقد كان يؤخذ عليها فقدان الكيان القصصي والبناء المتماسك . و « انا احيا » يوميات فتاة تسجل خط اندفاعها النفسي في مذكرات متفككة لا اهمية لها من حيث الاحداث ولا رابطة تشدها من حيث التكنيك الفني المتماسك . ونحن لا نتحدث هنا عن الموضوع الذي ارادته المؤلفة تمردا وثورة فانتهى اجهاضا وهزيمة . وانما نريد ان نشير الى ان احداث رواية « الآلهة الممسوخة » كانت تأليفا اشد احكاما من احداث الرواية الاولى ، اذ هي تتشعب من مصدر واحد وتسير في حبكة فنية لا تخلو من المتانة .

وقد سردت المؤلفة هذه الاحداث بطرق مختلفة فهي اما ان تتخذ شكل رسائل تبسط فيها الراوية ما يعتريها من انفعالات ومشاعر كما تفعل عايده مثلا ، او تتخذ شكل حوار بين شخصين كما يفعل نديم ، او شكل سرد يقوم به احد الابطال متحدثا عن بطل آخر ... ولا ريب في ان هذا التنوع يبعد عن القارىء الملل الذي كان يعتريه وهو يقرأ « انا احيا » وهي التي اتبعت فيها المؤلفة اسلوبا سرديا واحدا .

وفي « الالهة الممسوخة » تبرز مقدرة الكاتبة في توزيع ادوار الابطال في الكلام بحيث يبدو كل بطل وكأنه يتمم ما بدأ به سابقه . فهي قد تجعل عايده مثلا تتكلم في الفصل الاول ثم تتركها لتفسح المجال لنديم في الفصل الثاني كي يكشف من الاحداث ما لم تكن عايده على علم به ، وتفعل مثل ذلك في فصول اخرى مع ميرا ورجا ، ثم تتنقل فيما بينهم مضفية على القصة الوانا من الحيوية والحركة والمفاجأة لا يمكن ان يؤديها السرد المتصل .

وترجع جاذبية الاسلوب في « الآلهة الممسوخة » الى انه يتلبس الحالات النفسية لكل بطل من الابطال . فهو مثلا متوتر ساخط عند عايدة ، وهو رومنطيقي هادىء مع نديم اذ يسرد مغامراته بين الاعشاب او في الحنطور او في البارات الموحية تحت الارض ، وهو ضجر متبرم مع ميرا التي تسعى للتخلص من « الغيمة البنفسجية » اي من الموت الذي تلاحقها فكرته .

ولكن لا بد لنا الان من ان نتساءل : هل يكفي تماسك البناء النسبي وتنوع الاسلوب السردي لخلق قصة ناجحة ؟

ان علينا ان ندرس حوادث الآلهة الممسوخة وان نحلل شخصياتها المتعددة لنستطيع ان نقيّم هذه الرواية بمقياس الحياة وميزان الفن .

الواقع ان احداث الرواية ـ على قصرها ـ كثيرة جدا ، وقد كانت هذه الكثرة على حساب التركيز والتحليل النفسي . « فالآلهة الممسوخة » ليست رواية تحليلية تعتمد على دراسة النفسيات دراسة متطورة وفق المواقف ، وليست هي رواية « فعل » تترك للقارىء استنباط المعاني التي توحيها التصرفات والمسالك . وانما تكتفي الرواية بسرد الاحداث سردا مكشوفا لايخلف في النفس رغبة في التتبع او شوقا الى ما سيحدث . بل هي على العكس من ذلك ، ما يكاد حادث يثير انتباهنا او يشغل ذهننا حتى يأتي التفسير المبسط له بعد فترة قصيرة جدا فيقتل لدينا حس الافتراض او رغبة التحليل . ويكفي هنا ان نرجع الى السبب الذي من اجله نفر نديم من زوجته عايده . ان هذا السبب يأتي صريحا واضحا على لسان الراوية : « لقد وجد ان جداره المقدس منهار . » كما اننا نعرف لماذا بخل عليها بالطفل اذ تقول : « زوجي يعاقبني لاني حطمت جداره المقدس . » ثم تسرد عملية التحطيم بكل تفاصيلها . وهكذا يحرم القارىء متعة التتبع والسعي لاكتشاف علل الافعال والتصرفات ، هذه العلل التي لم تقدم المؤلفة اي تحليل عميق لها . ومثل ذلك يقال عن توضيح علاقة ميرا بنديم « هربا من الغيمة البنفسجية » وتوضيح علاقتها برجا الذي هو شاب والغيمة البنفسجية ابعد اليه من نديم الذي بات عجوزا .

اما شخصيات الرواية فليس بينها من يستطيع ان يخلق لدى القارىء « حس المشاركة » . وليس فيها من يشعرنا بانه كائن بشري حقيقي ينفعل ويتأثر ويفكر كما ننفعل نحن او نتأثر او نفكر . وحتى لا نتهم بالمبالغة نقول ان هؤلاء الابطال لا يمكن ان يوجدوا في مجتمعنا ، وانما ، استلهمتهم المؤلفة من ذهنها من غير ان يكون لهم جذور واقعية تتشعب في حياتنا العادية وخانها الخلق الابداعي المتوفر لدى الفنانين الذين يستطيعون ان يحيوا الفكرة المجردة في اذهانهم فيجعلوها شخصا تدب فيه الحياة . لقد جاء ابطالها وكأنهم من طينة غير طينة البشر لهم انفعالات وتصرفات لا تشعرنا باحتمال الوقوع بالرغم من كونهم

يرتعون ويعربدون ولا يتركون بأرا أو مقهى من مقاهي بيروت ..

والواقع ان الكاتبة مهووسة في التماس الغرابة والتفتيش عن كل ما هو غريب سواء اكان ذلك في الاحداث ام في الافكار مما يجعل القصة مجموعة من الغرائب تفقد كل طبعية وتلقائية وبساطة وصدق. وان طريقة معالجة هؤلاء الابطال تدل على انعدام الثقافة البسيكولوجية الصحيحة .

لنأخذ عايدة مثلا . انها شابة ثرية ، تعيش في دارة فخمة في بيروت ارسلها اهلها الى لندن لمتابعة دراستها . وهناك بلغها نعي امها فلم تتحمل الصدمة وارتمت بين ذراعي زميل لها افقدهاعذريتهافيذلك اللقاء . وحين عادت الى وطنها وتزوجت من نديم ادرك ان الجدار المقدس منهار منذ الليلة الاولى فثار ثم انتقم منها باهمالها وتركها تتلوع لانجاب طفل . وتستسلم عايده لهذه الحياة ، زوجها لا يأوي الى بيته الا سكران في ساعة متأخرة من الليل ، وتستمع اليه يترنم باسم فتاة اخرى يعشقها ، ويمتنع دائما عن الاقتراب منها .. كل ذلك من غير ان يفكر احدهما بالانفصال او الهجر ، مع العلم بانها فتاة غنية مدللة ..

ثم ان الامومة لدى عايدة تتخذ شكلا عجيبا يثير الضحك . فهي تمسك بدميتها تريد ان ترضعها ، هي المرأة ذات الخمسة والثلاثين عاما: « واطفأت الضوء وغاصت في صقيع فراشها ، ومن فتحة قميص نومها دلت ثديها وركزت الحلمة على فم الدمية الاحمر المطبق » .. ليست هذه الحركة المضحكة تدل على ان عايده شخصية مزيفة لم تستطع المؤلفة ان تحييها عى صعيد بشري حقيقي ؟ والحق ان تصرفات عايدة مع نانا كثيرة ومذهلة ، فهي « تشتري لها اثوابا وتحتضنها كل ليلة ، وتصلي معها ليعود اليها زوجها ، وتبكي فرحا اذ يعود . ثم هي تأخذها معها الى النزهة فتحملها بكيس من النيلون وتمشي بها في الطريق وتدخلها المخازن وتشرب القهوة وهي بجانبها وهي في الباتيسيري سويس . وعندما تكون عايده في حالة ازمة ترفض نانا ان ترضع ! واقسم ان هذا وارد في قصة « الالهة المسوخة » !...

وقد اتفق ان وقعت « نانا » على الارض . فماذا حدث ؟ لنتفرج على هذا المشهد الممتع : « فشهقت وانحنيت ارفعها ، ووضعت يدي على فمها وانا اخاف . اخاف ان تصيح متألة فتزعج نديم وتنرفزه » « يا للزوجة المخلصة ! » وارادت ان تتخلص من « نانا » بعد ان ابلغها الطبيب انها حامل وان عليها ان تتمدد ثلاثة شهور لانه يخاف علامات زلال بسيطة ، وحين ذكر كلمة زلال « امتقع وجهه » (يا لشجاعة هذا الطبيب !) المهم ان نسمع كيف تخلصت من نانا : « ما ان اطلق الطبيب انوار البشرى حولي حتى اسرعت الى البيت ، سحبت نانا من عربتها واخذتها بسيارتي واندفعت في جوانب العاصمة حائرة اخترق طريقا ممنوعة ، أتوغل في طريق اخر (1)سده بيت خشبي .. وابرم حول محطة الترام ، وصفارة الشرطي تحثني على السرعة .. وانحدرت على طريق جونية ، ربطت نانا بحجر واغمضت عيني وشلحتها في الاغوار .. وسقت بجنون ، بجنون .. سقت بجنون .. بجنون بعشر جماعة » ... ولا تنس ايها القارىء الكريم ان من يقوم بهذه الاعمال الخطرة المرهقة انما هي المرأة التي دعاها الطبيب ، وهو ممتقع اللون ، الى ان تلزم فراشها فورا لمدة ثلاثة اشهر لانه يخشى عليها الاجهاض ! ثم انها تقوم بهذا كله من اجل قذف دمية !

نحن نفهم ان تعوض امرأة محرومة من ولد بحب اطفال جيرانها او اقاربها او حتى بحب بعض الحيوانات الاليفة كالقطط والكلاب . اما حب الدمى فلم نسمع به الا في عالم كل مافيه غريب عجيب هو عالم الالهة المسوخة ، الذي يبدو حتى الطبيب فيه من غير طينة الاطباء!.

واذا كشفنا صفحة اخرى من صفحات عايدة راينا غرابة اغرب في تصرفاتها كزوجة تغار اشد الغيرة على زوجها الذي لايحبها على الاطلاق وليس في سياق القصة مايدل على انها تحبه ... انها تتصور ان « غريمتها في الصحن ، في المنفضة ، في قدح الماء ، في الماء ، في السقف ، في اللمبة ، في الشرشف ، في المخدة (ونحن نتساءل هنا لماذا وقفت عند هذا الحد فلم تذكر عشرين « في » اخرى !) ومن اجل ذلك فهي قد كسرت الصحون القديمة والاقداح واحرقت شرشف المائدة والفوط واشترت اغطية للمقاعد وغيرت دهان الحيطان .

افمن الممكن ان تكون هذه المرأة الا امرأة « مجنونة او مهستيرة » وهل هناك اية قيمة لتصوير حالات الجنون في رواية فنية ؟

الواقع ان شخصية عايدة في صميمها شخصية مفتعلة مزيفة ، وهذا الزيف والافتعال يبدوان في اول حركة من حركاتها حين كانت في لندن فاستسلمت لزميلها وهي تبكي امها التي ماتت ، وهي لم تشعر بانها فقدت بكارتها ...

اما نديم ، البطل الذي يلقي ظلاله على تصرفات عايده ومبرا فمن هو ؟. استاذ التاريخ في الجامعة يجتر اخبار الموتى او « يلموكها » رجل في الخامسة والاربعين من عمره يطفيء الصقيع في نفسه كل يوم بكؤوس الويسكي ولا يعود الى بيته الا ليغلق باب غرفته ويترك عايده « ترضع » نانا . ثم يتعرف الى ميرا فيحبها ويشعر بحاجته الى وجودها معه لانها تبعد الملل عن نفسه .

نديم ، كما ذكرت المؤلفة ، يمثل الرجل الشرقي ، الرجل الذي يعاقب، الزوج الذي يسمح لنفسه بجميع الوان الفجور ولا يغفر لزوجته زلت بها القدم مرة . ولكننا نتساءل لماذا لايطلق زوجته او يهجرها وهو لايطيق وجودها . اتراه يعذب عايده بدافع الانتقام ؟ ليس في الرواية جواب لهذا السؤال . وانما يخيل الي ان مايبرر هذا الموقف انما هي الرغبة نفسها في خلق الغرابة ، وهذه الغرابة التي تخيم ايضا على علاقة نديم بميرا . لنتصوره مثلا وهو يلتقي لاول مرة بها في بار رومنطيقي. فاذا به يسرد لها قصة مغامرة غرامية له ، وكأنما نسيها !. انه يقص عليها قصة حسناء متزوجة صادفها في احدى السهرات فدعته في اليوم التالي الى منزلها . وحين جاءها كانت تلف جسدها بمنشفة والرعد يدوي في المدينة ، فجذبها اليه و « اغرقها بالقبل ، بالشراب ، بالهمسات ، ولم يجرؤ على لمسها بيديه لانه يخاف ان ينجرح جسدها البض » . (تصوروا رجلا يغرق امرأة بالقبل من غير ان يلمسها بيديه !)

ولعل اخر اسلوب لاجتذاب النساء وايقاعهن في الشرك هو التباهي بسرد المغامرات الغرامية والانتصارات العاطفية ولا سيما اذا كانت الفتاة المراد اجتذابها فتاة بريئة كميرا . اما اذا كانت غاية المؤلفة اظهار ظلم الرجل الشرقي وانانيته وموت الضمير في نفسه ، فلا شك في انها قد سقطت دون غايتها في هذا المثال بالذات . لقد احب نديم ميرا ، والرجل الذي يحب ينسى او يتناسى كل حادث امام حبيبته وكل ماليس كذلك هو بسيكولوجية زائفة لاسيما اذا كان هذا الرجل شرقيا .

الواقع ان نديم جعل من ميرا فرصة يكشف فيها كل قصصه مع بنت الجيران ، التي خذلته ، ففتش عن اخرى كان يقصد صيدا ليلتقي بها بين البساتين وفي المساء « تستأجر عربة حنطور .. وتنام على ركبتي وانشر صدري فوقها ، احميها من شعاعات القمر الناعسة ، من انفاس النسيمات الهادئة ، من تمتمات الموج للحصى « يالرومنطيقية بني عذرة ! » ثم تتركه امل وتتزوج من ثري من غير ان يستطيع انقاذها « هو الطالب الجامعي الذي ينام بدون عشاء ويدخن سجاير الطاطلي ويحبس نفسه اياما طويلة في غرفته يحرق الدخان ويعب الويسكي » . (هل تستطيع ايها القارىء ان تشتري زجاجة ويسكي وانت لاتملك ثمن رغيف تتعشى به ولا تدخن لفقرك الا ارخص انواع السجاير ؟.) ثم يصطحب نديم ميرا الى بار يذكر انه وكر غرامه مع الالمانية التي يصفها بانها « بركان شهوة يتأجج . » فاذا ذكرنا هذا كله وما تحويه هذه المغامرات من دناءة وقذارة ، افلا نذهل حين نسمعه ، بعد ان حام بشفتيه حول شفتي ميرا ، يقول لها غاضبا : « يجب ان تعودي الى البيت ، انت صغيرة جدا ، يجب ان تأوي باكرا الى الفراش » . هكذا ، فجأة يستيقظ ضمير نديم افندي وينسى كل بذاءاته مع ميرا ، ويغيب عنه انه اصطحبها عدة

(1) دلالة على ان الكاتبة تعلم جيدا ، ان الطريق يذكر ويؤنث !..

مرات قبل ذلك . فما الذي قصدت اليه الكاتبة من هذا ؟ هل قصدت الى شيء اخر غير ان تجعل نديم هذا شخصا « اوريجينال » حتى ولو كانت تصرفاته كلها منافية للطبيعة البشرية ؟ ان هذا الرجل كان يتلهف الى اسرة يعيش فيها ، واولاد « يحمل لهم اكياس الفواكه وعلب الشوكولا والالعاب » « فيرتمي اولادي علي يختطفون مني الضحكات والحنان » أكان نديم صادق الابوة حقا ؟ اذن لماذا لم يغفر لعايده حين حملت منه واوشكت على الولادة ؟ الانه كان يعتقد فعلا ان الطفل هو للمرأة الاخرى التي كان يترنم باسمها عندما حملت عايده ؟ اتكون عملية انجاب الاطفال متوقفة على النيات ؟ اسئلة لا جواب عليها سوى ان كل مافي شخصية نديم مفتعل ومصطنع . فهو من اجل ذلك لايثير فينا حتى القرف الذي ارادت المؤلفة ان توحيه لتنفر ولتجعل قصتها ذات موضوع.

اما ميرا فهي صاحبة « الغيمة البنفسجية » ان كنت لم تعلم بعد . وهذه الغيمة البنفسجية هي تتويج لجميع غرائب هذه الرواية . لقد رأت ذات يوم رجلا يسقط على الرصيف ميتا . فتركزت هذه الصورة في مخيلتها واعتقدت انها هي ايضا سوف تموت يوما كهذا الرجل . واذ ذاك انتابها دوار اصفر وغطست في غيمة بنفسجية (لا اراكم الله مكروها!) وحبذا لو ان فكرة الغيمة البنفسجية كانت نابعة عن موقف فلسفي للحياة او عن « وضع » واع لشخص يحركه القدر وان كان يجهل تعليله اذن لكان ثمة مجال للتأمل ، كما هو حال فكرة العبث عند كامو مثلا . ان « الغيمة البنفسجية » هنا معراة من كل دلالة لانها غير صادرة عن موقف في الحياة يتطور وتكون له في نفسية ميرا آثار وذيول . صحيح ان ميرا ترمز الى الهرب ، ولكن المؤسف أن المؤلفة لم تتعمق نفسية ميرا ولم تتابع ذلك القلق والتمزق اللذين تذكرهما الفاظا ولا ترسمهما مواقف .

ذات يوم كانت ميرا تدخل المصعد وهي تبكي ، مايبكيها ؟ الغيمة البنفسجية اياها ! وتلتقي في المصعد برجل غريب ، (هو نديم الذي سبق لنا شرف التعرف به) فيسندها الى كتفه (هكذا خبطا لزقا !) بينما هي تتمتم : « الغيمة البنفسجية تتبعني » وتتبعه بدورها الى منزله ولا تنسى وهي تأخذ القهوة معه ان تتأمل « الشمعة التي تبصق ضوءا » . وتظل علاقتها بنديم تعبيرا عن رغبتها في الهرب من الغيمة البنفسجية . ثم يكون كل عملها ان تستمع اليه يروي مغامراته الوقحة وكأنها غير موجودة ، لا تعليق ، لا اشارة ، لا تنهد ، بالرغم من انه يمد يده فتهبط فوق ركبتها وتحط على يدها . ولا بد للقارىء من ان يتساءل : ماهي ردود فعل ميرا ؟ هل هي فتاة من لحم ودم ام هي فقط اذن للاستماع لا نفس تتحرك ... بلى لقد سمحت لنديم وهو يروي مغامراته مع الالمانية ومع ماريا ان ينحني عليها « مغمض العينين وحامت شفتاه حول وجهها ثم غفتا على شفتيها » . اما كيف تمت عملية الحوم والاغفاء هذه فتفسير ذلك عند علماء الشذوذ البشري !

وتبدو لنا شخصية ميرا الى جانب كونها غريبة ، سخيفة النفسية والتصرفات لايمكن ان تمثل فتاتنا الشرقية ، ولا هي تنسجم حتى مع محيط بيتها ، هذا المحيط الذي يعبق فيه روح شرقنا ، تكرس فيه ام حياتها للمثل فتمضي صباها لذكرى رجل احبته وكان ابا لولديها . فهل يمكن لمن عاش في جو كهذا الجو ، ان يحيا حياة ميرا الفجائية المستهترة مع نديم ثم مع رجا وان لايعود الى البيت الا بعد الساعة الثالثة ورائحة السكر تعبق منه ؟ ماذا جرى ، هل احبت ميرا نديم ؟ ربما نجد لتصرفاتها مبررا لو احبته بالفعل ، فالحب قد يعمي . ولكن ليس في القصة مايشير الى انها قد احبته . ولو فرضنا ذلك فاننا نظل نتساءل : كيف ؟ ومتى ؟ ان احبته بالفعل ، فهل يعقل ان تسمح له ان يسرد قصته مع الشقراء التي كان يعبدها وان يدلي امامها : « كنت انام معها في فراش واحد ولم اجرؤ على لمسها . كان جمالها مغلفا بالجلال حتى لينكمش اي رجل امامه ويتلعثم ويطلب العفة والغفران ! » (الرأي متروك للسادة الرجال في الحكم على لون هذه العفة ..) ان كانت لاتحبه ، فلماذا تتصرف هذا التصرف ، وتسيء الى سمعتها كفتاة شرقية ؟ اما اذا كانت تحبه بالفعل ، فهي تبدو غير بشرية وغير طبيعية .

وهكذا نرى ان الاحداث لاتنسجم اطلاقا مع النفسية والبيئة التي تعيش فيها ميرا ومن هذا الطلاق تنبعث رائحة الزيف التي تدمغ شخصية ميرا فتقلعها من كل جذور قد تمتد في حياتنا .

ثم تتعلق ميرا فجأة برجا . ولكننا نتساءل : كيف ؟. ومتى ؟ كانت على الشاطىء تستحم بحرارة الشمس ، فالقى عليها منشفة ، فاحبته ثم اهداها « عقد الفتنة » . فرمت برأسها على صدره تقبله .

لماذا ؟ لينقذها ايضا من « الغيمة البنفسجية » ! وهجومها عليها ، اتكون مهمة ميرا في الحياة ، هي فقط الهروب من الغيمة البنفسجية بالالتجاء الى الرجال !

وتثور ميرا على رجا . وتفشل المؤلفة في رسم الثورة على وجه ميرا وتصرفاتها ، لماذا تثور على شاب حاول ان يقبلها وهي التي « زحفت» الى غرفته لكي يستحم بينما هي تنتظره فتستمع الى « موسيقاه الحلوة»

التبرير يأتي تافها من فمها بالذات . لقد قبلت « عقد الفتنة » لانه يميزها عن أي انثى من الحيوانات فأي تبرير مقنع هذا ! ثم هي أتت الى غرفته لانها لاتخاف منه . ومع ذلك ما ان مد يده الى خصرها وجذبها اليه حتى رمت رأسها الى صدره العاري ومرغت شفتيها برقبته . انا لا افهم كيف تم ذلك ، وهل عملية الارتماء والتمرغ من البساطة بهذا الحد ، ام ان المؤلفة قد اعجبت بهذه الكلمات المزوقة العارية فرصفتها في هذه الجملة دون ان تقدر مدلولها الحقيقي ؟ ان رجا نفسه يستغرب هذا التصرف فيقول لها « كيف تقبليتني انت ، ولا تسمحين لي بتقبيلك ؟ لا افهم . لا افهمك . اكاد اجن . لا اطلب منك اكثر من قبلة » .والحقيقة ان ذلك يجنن بالفعل ! ان ميرا نفسها تستغرب تصرفاتها فتقول : « هل انا حقا في غرفة شاب التقيت به منذ اسبوع فقط ؟. هل انا احلم ، احضر فيلما سينمائيا ؟ ام احلم ام ماذا ؟. »

مجموعات الآداب

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الثماني الاولى من الاداب تباع كما يلي :

	غير مجلدة	مجلدة
مجموعة السنة الاولى	٩٥ ل.ل	١٠٠ ل.ل
« « الثانية	٢٥ «	٣٠ «
« « الثالثة	٢٥ «	٣٠ «
« « الرابعة	٢٥ «	٣٠ «
« « الخامسة	٢٥ «	٣٠ «
« « السادسة	٢٥ «	٣٠ «
« « السابعة	٢٥ «	٣٠ «
« « الثامنة	٢٥ «	٣٠ «

ونحن نتساءل : هذا الاستغراب من فم الفتاة نفسها الا يدل على تصنع في التصوير كله ؟ لابد وان الكاتبة كانت تشعر بان ماتصوره من نفسية لابطالها هو غير بشري فعمدت الى هذه الطريقة الفاشلة لتبرر بنفسها مايمكن ان يؤخذ على ابطالها .

ونعود لندرس وضع ميرا من اساسه ، انها شخصية ثائرة ، كما تريد ان تصورها المؤلفة . فما هي الدوافع التي تدعوها للثورة ، هل هي داخلية تنبع من صميمها ام هي خارجية ؟

ربما كانت هنالك بعض الدوافع النفسية . ولكنها دوافع سطحية وتافهة ، لايمكن ان تدعو الى ثورة كالتي قامت بها ميرا : من فتاة تحيا في بيئة منكمشة رصينة الى فتاة تسكر وتعربد ليلا . ان الهروب من الغيمة البنفسجية لايمكن ان يقنعنا !

ولا بد لنا ان نتساءل ونحن ندرس شخصيتها ، هل تمثل نزعة من نزعات فتاتنا العربية ؟ وهل ثورة ميرا هي ثورتها ؟.

الحق ان اي ثورة لايمكن ان تمثل ثورة الفتاة العربية الا اذا كانت تنبع من صميم طبيعتنا واستعداداتنا ومؤهلاتنا النفسية والاجتماعية والتي تميزنا عن اي انسان اخر في اية بقعة من بقاع العالم .

ان بطلة ليلى بعلبكي ، ثائرة مشوهة من ابطال فرانسواز ساغان . ان ابطال ساغان يمثلون ويحيون بيئتهم على الاقل ، بيئة مابعد الحرب المتفسخة اخلاقيا ونفسيا ، والذين يهربون من السأم والملل والتمزق بالاقبال على الحياة بكل مايملكون من اندفاع . والواقع ان الملل عند ساغان نابع من صميم المجتمع الذي تعيشه وتتأثر به . ولكنه ملل غير ناتج عن موقف فلسفي للحياة بعكس ماقد نجد عند كامو او سارتر . ومع ذلك فأي ملل هذا الذي نجده عند ميرا ؟ وما هي تبريراته الفلسفية او الاجتماعية في الظروف التي تعيشها ؟ لنستمع الى هذا المقطع : « على الصوفا ، امام صورة الوالد الميت ، انهارت ميرا ، سرى في دمها ملل بطيء كحبات الجليد « الحقيقة انني بدأت اقرف ، يضايقني العمل : ترتيب ملفات العملاء بشركة التأمين ، ثم الاجابة عى التليفونات ،ويضجرني النوم بعد الغداء كل يوم ، كل يوم . كما انني صرت انزعج من مشاهدة الافلام والاستماع الى الراديو ، ووالدتي تنرفزني (يا للكلام الفصيح !) وهي تنفل في البيت لاتبرحه ، وتحافظ على مواعيد طبيب اسنانها ، ويغضبني هاني ، فهو يحبس نفسه ويسافر معها مع كل لحن يغزو بيروت . لهذا افضل ان انطفيء الان سريعا » . (حبذا لو اطفأتها المؤلفة اذن لاستراحت واراحتنا !)

وواضحة تفاهة اسباب هذا الملل الذي لايحسه القارىء قط وانما «يأخذ علما به » من قلم المؤلفة ... انه ناتج عن ترتيب ملفات وسماع راديو ونوم بعد الظهر .. الخ بدلا من ان يكون مثلا ناتجا عن غثيان مبعثه لا انسانية الانسان في ميادين الحروب او تمزق النفس في صراعها بين الخير والشر او عجز الانسان امام ادراكه عبثية الحياة .. وميرا هذه التي يبدو عليها القرف لاتمثل جيلنا الجديد . فان هذا الجيل قلق وليس قرفا . والفرق كبير بين الامرين ، ولعل ميرا فتاة غربية تنتمي الى جيل قد شاخ لان اجيالنا الطالعة ولا سيما الفتاة تعاني قلقا منتجا يدفعها الى ان تطور وضعها وتطمح الى كسب حقوقها كاملة وتناضل من اجل ذلك ، فليس امامها وقت تضيعه في الضجر والملل والسأم والقرف ...

وهكذا لانرى في الرواية بطلا يمثل اية مشكلة من مشاكلنا او يتلبس نفسية من نفسياتنا . ومن هنا نجد شخصيات « الالهة الممسوخة » اشباحا لانتفاعل معها وانما استلهمتها المؤلفة من ذهن مجرد لايعرف ان يكسب مخلوقاته حياة محسوسة . وذلك عائد الى هوس الكاتبة في التفتيش عن الغرابة في الاحداث والعواطف والافكار كما ذكرنا من قبل مما يبعدهم عن التلقائية والبساطة والصدق واحتمال الوقوع ، وبالتالي فانهم لايمثلون اية نماذج من المجتمع الشرقي ولا يبرزون اية مشكلة من مشاكلنا الاجتماعية الهامة . وبالاضافة الى ذلك فان تصوير النفسيات يتم عن ثقافة بسيكولوجية ضعيفة ، ثم ان شخصيات الرواية بالاجمال بعيدون عن ان يتطوروا . فقد ظل نديم كما كان في البداية سكيرا خليعا ، وثارت ميرا ، ولكن ثورتها كانت انقيادا للغير . اما عايده فهي الوحيدة التي تطورت اذ كانت على قيد الحياةثم ماتت...رحمهاالله وغفر لمؤلفتها!

وقد كان الاجدر بليلى بعلبكي ، ان كانت تعيش حقا وضع الفتاةالعربية المعاصرة ، ان تأخذ نموذجا ايجابيا هو النموذج الغالب في جيلنا الجديد فتمثل به تمرد المرأة العربية وثورتها لاستكمال حقوقها في الحياة لا ان تختطف نماذج ، ان لم تكن معدومة فعلا ، فهي شاذة ، ولا يمكن ان تعطي صورة حقيقية عن الفتاة ، فضلا عن ان مفهومها للحرية هو مفهوم مغلوط لان الحرية لاتعني ان تحطم الفتاة كل مايعيق اندفاعها نحو حياة مستهترة لا مبالية.وهذا ماتمثله ايضا « لينا » في كتاب « انا احيا » ان «الحياة» في نظرها هي « ان تدخل مقهى » وتعاشر شابا استهواها وتترك عملا يزعجها وتبصق في وجه ابوين تعتبرهما عائقين لطفرتها .

انها بالاجمال بطلة سطحية خفيفة ، لاتتمتع بأي حظ من علم او ثقافة او عمق ، هي تهتم باصابع الحمرة والكعب العالي اكثر من اهتمامها باية مشكلة من مشاكل العالم وان كانت تذكر قرفها من المستعمرين واعوانهم بما فيهم والدها . وان مثل هاتين الفتاتين ، ميرا ولينا ، لايمكن ان يجسدا اية ثورة من ثورات الفتاة العربية الجديدة التي تطمح حقا في « الحياة » ولكنها تتجاوز هذه المظاهر الى مفاهيم للحياة اعمق .

*

تبقى قضية اللغة في الرواية ، ونحن نعتقد ان على الكاتب ، قبل ان يقدم على نشر انتاجه ، ان يستكمل اسباب الكتابة السليمة ، اما « الالهة الممسوخة » ففيها اخطاء كثيرة جدا في الصرف والنحو والاملاء. ومن المزعج ان نسر هنا بعضها ونحن نتحدث عن قضايا اكثر اهمية ولكن لا بد من الاشارة اليها اشارة سريعة حتى تستدركها المؤلفة في كتبها القادمة:

- يمد ذراعه المتخشب . ص ٤٣ . الذراع مؤنثة .
- ليبصق الناس عليه ويشفقون عليه .ص.٤٥. الصحيح و(يشفقوا)
- واذا الوديان في عينيها مهاوي .ص. ٦٩ . الصحيح مهاو .
- يجمعها بئر ترقد في قعره .ص. ٧١. البئر مؤنثة ..
- ارجوك ان تضيىء .ص. ٧٨ . الصحيح تضيئي .
- ومع اني في سن الخامسة عشر .ص ٨٩ . الصحيح الخامسة عشرة
- نطيت من السرير .ص١٠٦ . الصحيح نططت .
- تركت حول عنقها الموجوع .ص١١٤ . الصحيح الموجع
- واستلذيت بالدوخة . ص١١٧ . الصحيح استلذذت .
- لم تكن هناك علامة جسدية او تمني : الصحيح تمن .
- قولي انك تحميه هو . ص ١٥١ . الصحيح تحميه .
- اقل نعمة واهين.ص١٦٢. الصحيح اهون .(هان ، يهون ، اهون)
- وتلفت فاذا كل الساهرين واجمين .ص١٦٢ . الصحيح واجمون .
- ونشر كفه على عينيه ثم رماه في جيبه ص١٧١. الكف مؤنثة .
- رفعت المرأة ذراعها العاري ص ١٨٠ . الذراع مؤنثة .
- وتتجلد شفتي . الصحيح شفتاي .

وبعد فلماذا تستخف المؤلفة بفصاحة الكلمة العربية ؟ من اين جاءت بهذه الكلمات : يتعمشق ، كزكزت ، لحوست ، حشريتها ، مزوتة ،خبرية زاروب ، المقرقطة ، المشرشرة ، مشلوحة ، انكرسح ، تطوشني ، اعلوك، يبلعط ، عربشي » .. اهي تريد ان تطور اللغة العربية بخلق هذه الكلمات التي لاشك في ان مرادفاتها الفصيحة اجمل واغنى ، ام انها لاتريد ان تخرج حتى في اللغة ، عن المخطط الذي رسمته لنفسها قبل ان تبدأ بكتابة اية كلمة : الا وهو البحث عن الغرابة قبل كل شيء ؟

ان الالهة الممسوخة تمسخ الفن القصصي ، وتمسخ الحياة ، وتمسخ اللغة ، فهل نتجنى عليها اذا وصفناها بانها رواية ممسوخة ؟

عايده مطرجي ادريس